والعسرة : حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر : يعتقب العشرة على بعير واحد . وفي عسرة من الزاد : تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والإهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة أن اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء . وفي عسرة من الماء حتى نحروا الإبل واعتصروا فروثها . وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة " كاد تزيغ قلوب فريق منهم " عن الثبات على الإيمان أو عن اتباع الرسول ا خلق ليس : بقولهم سيبويه وشبهه الشأن ضمير كاد وفي . معه والخروج الغزوة تلك في A مثله . وقرئ : يزيغ بالياء . وفي قراءة عبد ا : من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كأبي لبابة وأمثاله " ثم تاب عليهم " تكرير للتوكيد . ويجوز أن يكون الضمير للفريق : تاب عليهم لكيدودتهم .

" وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من ا إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن ا هو التواب الرحيم " .

" الثلاثة " كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية . ومعنى " خلفوا " خلفوا عن الغزو وقيل عن أبي لبابة وأصحابه حين تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا أي خلفوا الغازين بالمدينة أو فسدوا من الخالفة وخلوف الفم . وقرأ جعفر الصادق رضي ا عنه : خالفوا . وقرأ الأعمش : " وعلى الثلاثة المخلفين " بما رحبت " برحبها أي : مع سعتها وهو مثل للحيرة في أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه " وضاقت عليهم أنفسهم " أي قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور لأنها حرجت من فرط الوحشة والغم " وظنوا " وعلموا " أن لا ملجأ من " سخط " ا إلا " إلى استغفاره " ثم تاب عليهم ليتوبوا " ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا وليتوبوا أيضا فيما يستقبل إن فرطت منهم خطيئة علما منهم أن ا تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة . روي أن ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول ا A . منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به . عن الحسن : بلغني أنه كان لأحدهم حائط كان خيرا من مائة ألف درهم فقال : يا حائطاه ما خلفني إلا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فأنت في سبيل ا . ولم يكن لآخر إلا أهله فقال : يا أهلاه ما بطأني ولا خلفني إلا الضن بك لا جرم وا لأكابدن المفاوز حتى ألحق برسول ا A فركب ولحق به . ولم يكن لآخر إلا نفسه لا أهل ولا مال فقال : يا نفس ما خلفني إلا حب الحياة لك وا كابدن الشدائد حتى ألحق برسول ا فتأبط زاده ولحق به . قال الحسن : كذلك وا المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها .

وعن أبي ذر الغفاري : أن بعيره أبطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع أثر رسول ا A ماشيا فقال رسول ا A لما رأى سواده : كن أبا ذر فقال الناس : هو ذاك فقال : رحم ا أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده " .

وعن أبي خيثمة أنه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت إليه الرطب والماء البارد فنظر فقال : ظل ظليل ورطب يانع " وماء بارد وامرأة حسناء ورسول ا A في الضح والريح . : ما هذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول ا A طرفه إلى الطريق فإذا برأي يزهاه السراب فقال : " كن أبا خيثمة " فكانه . ففرح به رسول ا A واستغفر له .

ومنهم من بقي لم يلحق به . منهم الثلاثة